أشــــــواق نــازحـــــة

• رجــــــــاء بـكـريـة

قصة قصيرة

ليتَكَ تَعْرف: كانت سبعةَ أيام قاسية، حافلة بالوجع والانتظار. أَعدُّ فيها الساعات كما يفعل طفلٌ يستعدّ لدخول السنة الابتدائية الأولى. بتلهُّفٍ وقلقٍ أُتابع أنفاسَ الهاتف. بتوجُّسٍ وحيرةٍ أُراقب التفافَ العقارب. لقد أَعلنوا رام الله منطقةً عسكريةً مقفلة، ولا يوجد مَنْ يتنبّأ بموعد فكّ طوق الحصار عن عنقها. هاجر منجِّموها عنها، وتركوا ريشَ أوزِّها تحت أقدام الأطفال يخربش مواعيدَ الأيام الآتية. تناقلتْ مصادرُ بعد ذلك خبرًا سريعًا يعلن أنّ قائد قوّاتهم الأعلى على معرفة بلحظة الإقلاع؛ قبل خمس دقائق بعد تفتُّح زهرة الصفير. «لماذا الصفير بالذات؟» تساءل الناسُ بعجب. فأشار أحدُ المجتهدين إلى حساسية القائد من الرائحة الصفراء، وأضاف أنّها «تغْمر قلبَه بالكلإ.» «وهل يهدِّد الكلأُ ربيعَ الناس؟» «لا بل يتوعّدهم بربيع غيرِ قابلٍ للزوال، وأمثالُ أولئك الجبابرة لا تناسبهم غيرُ مواسم الصيف الحارقة.» ضحك مَنْ سمع خلف النوافذ: «يجب إذًا أن نَسْجن الصفير في دفيئات، ونُطْلقَه على الغزاة وقتَ الحاجة.» تعالت أصواتٌ أخرى: «ماذا لو بدّلوه؟» «سنبحث عن زهرة أخرى تُزْهر ربيعًا في كبد وريثه.» ضحكوا، وأَغْلقوا النوافذَ تحت مدرَّعةٍ جهمةٍ تقدّمت الهوينى من الصمت الفزع، وحين افتقدتْ مَنْ تُفْقده ساقًا أو ذراعًا تجشّأتْ ذخيرتَها في مناقير الحَمَام.

أنتَ خلْفَ كلِّ ما يأتي به حمامُ رام الله الزاجل. وحده لم ينسَ خارطةَ الذهاب والإياب. ويبدو أنّه لن تَشْفع لي، هذه المرةَ، ثقافتي الواسعةُ في علم الفلك، ولا تقصِّيَّ الدؤوبُ لحركات النجوم في السماء. رحل المنجِّمون وظلّ النجمُ أرملَ عاجزًا على التزاوج والإنجاب. هل تَمْحل دواليبُ المدينة إذًا؟ من الشرفة الكبيرة المفتوحة على قلب البحر حَدَّدتُ مسارَ نجمي، تخيّلتُ تقاطعَه مع خارطة الغزو. أيام سبعة مرّت قبل أن أقرِّر طالعي مزيَّنًا بأربعة ذيول حارسة. مرّ يوم آخر قررتُ بعدَه فألي. وضعتُ دائرةً في بطن السماء وخَتَمْتُ عليها قلبي. ساعةً بعد الفأل طُوِّقتِ المدينةُ الجميلةُ بأكاليل الخاكي. اندهش النجمُ من ملعوب السماء. كان فألاً حسنًا، هَمَسَ قريبًا من قلبي. تَرَكَ مقعدَه شاغرًا ونزل يراقب معي كيف تموت تحتَه الحياةُ. والمدهشُ أنّ شيئًا لم يتغيّر في موقف السماء وهي تَعْبر مع سحب المدرّعات السعيدة أسواقَ الخضار. والمدهش أيضًا أنّ شتائمَنا القديمةَ وحدَها استفاقت من المخابئ على أصوات الحرب القادمة. كان الناس نيامًا، ولم يمشِ في الشوارع غيرُ القطط الحبلى، ودجاجُ عائلةٍ تركتْ بيتَها ليلاً إلى أحد المخيّمات، في نزهةٍ أو زيارة، ويبدو أنّها نسيتْ فتحاتَ الأقنان بغير رتاج.

تسلّقتْ مفرداتُها جسدَ الصباح وهَمَسَتْ بما تكْرهه. ثمّ دهشتْ ثانيةً كما كانت تفعل تحت الظلام، تَفْتح عيونَها تمامًا وتَرْكن رأسَها المنتفخَ على شكل إجّاصةٍ ممتلئةٍ إلى الأمام. «كيف لم أفرِّط طوال هذه الشهور بشتيمة واحدة؟» أتساءل. برغم عدم يقيني من جدواها كدّستُها مثلَ دستات الملح والسكّر. لعلّ دوافع اللعبة بين المتحابّين أن تَبْتكر في غير مجال اختصاصك. والشتائم، كما اتفقنا منذ البداية، ليست من اختصاص أحد. كلمات بذيئة جدًا لم تَحْشدنا بغير الإصرار على التناكد في التعبير عن مفردات التعاشق. هل عشقتُكَ حقًّا مع ذلك القدْرِ من الكبرياء البغيض؟ لا أعرف، لكنّهم يقولون إنّ الكبرياء قضيةٌ خاسرةٌ في مسألة الحُبّ. تحت الظلام، حين يذهب الناسُ ولا يبقى للمساء سوانا، نَحْشر فَقْدَنا في أنفاقٍ مبحوحة النداء، لا يُسمع خلالَها ألا حبوُ الجسد إلى القلب أو الكبد، لا نَعْرف كيف تفسِّره سوى العتمة. أغبياءَ نُحِسّ أنفسَنا، في ظلام لم يتعلّم فهمَ اللغات. نُشيِّع الفرحَ في مشاوير الروح إلى قمم العطش ونبكي الظلامَ. «كم من الزمن يمرّ حتّى تعترفَ الشتائمُ بعجزها عن مقاومةِ زلزالِ الأشواق المؤجَّلة؟» أهمس لنفسي، «وربّما لن تعترف أبدًا!» هنالك ظلام يبكي ويَمْسح بكمِّ الهواء دمعَه، أمّا ظلامُنا فيبكي الهواءَ ويهرِّبه ليَشْبع دفئًا أحمق.

أجل لم تَشْفع لي حتّى زواقيقُ لغتي القابلة في كلّ لحظة إلغاء تفوقك على منطقها بالانتحار. كأنّكَ، يا سائد، لا تَعْرف أنّي لا أجالس غيرَ شمعةٍ تذوب تحت ثرثرة الصمت، وعيونٍ لا يكفّ الثلجُ عن الهطول في محجريْها، وأصابعَ تَطْرد الجمرَ من أطرافها الوحدةَ. كأنّك لا تَفْهم أشواقي، يا سيّدَ الأشواق، للسعاتِ سجائركَ في هذه اللحظة. كأنّكَ وكأنّكَ... تُرى هل تَعْرف هذه الـ «كأنّ» أنّها حرفٌ مشبّهٌ بالأفعال وعاجزٌ عن تكملةِ فعله إذا ما قرّر أن يفعل؟ أَعْترف لنفسي بأنّ تشبُّهَها الدائمَ يجعلني أكنّ لها عداوةً حقيقيةً وأنا معك: سرًا أُشاكسها حين يستدير رأسُكَ نحو البحر. لماذا تعدو عيناك إليه حين أشبِّه علاقتَنا بالأفعال؟ هذه حقيقة وإنْ أنكرتَ ذلك. علاقتُنا مشبَّهة، ولم يستوفِ فعلُها معكَ شروطَ تحققه. لا أتحيّر كثيرًا حين أقرر عدّةَ مسمَّيات وأُلقي بلومي على البحر دائمًا، بل يخيَّل إليّ أحيانًا أنّك تتوحَّد به دوني، وتفضِّل زرقتَه المائجةَ عليّ،

وتفتّش لجوعه عن استغاثةِ نورس: كأنّ النوارس لا تستغيث في أقفاص صدرك. هل تُطْلقها وأنت تنازع الموجَ ملكيتَها؟ ليس لازمًا أن تَخْطفها بيديْك، فأنا ألاحظ كيف تَسْحبها نظراتُك الساهمةُ كما تَنْظر كلابُ البحر ـ وهي تَسْحب ذيولَها من الماء ـ إلى السمك.

أين ذهب؟ «سَقَطَ سهوًا، خلف موكب جنازة المغيب الحاشدة، شوقي،» تقول، «خانَكِ مع الصور.» أَضحكُ أو أَحْزن. أقول إنّه جزئي الباقي بعد أن تذهب، وأظلّ مع الشرفة الفضفاضة وأصواتِ الكلاب الضائعة في الحارة. هي أكثرُ ما يزعجني في مسألة عزلتي. يؤرّقني مثلاً أنّها سبعَ سنين كاملة تعوي بالطريقة نفسِها دون أن يَعْثر عليها أحد، وأنّ ألسنتها ـ مهما استطالت تعريفًا بنفسها على الناس ـ لا تَجْمعها بأصحابها. أين ملاّكُ الكلاب؟ وكيف لا تستغلّ وزارةُ الاستيعاب مواهبَها أوقاتَ الحرب؟ كيف لم تَسْتبدلْ صفّاراتِ الإنذار مثلاً بنباحها؟ عواءُ الذئاب أيضًا تحت الوادي لا أجد له تبريرًا ولكنّه ـ خلافًا لأصوات الكلاب ـ يَبْهرني دون توقُّف.

كأنكَ لا تَعْرف حين تقول: «دعي الأمورَ على سجيّتها.» كيف، وأنتَ تَعْرف رجفَ أظافري وهي تدوِّر أرقامَكَ التسعةَ، وكيف تتوقّف عن النبض فجأةً كي تتأكدَ أنّها لا تحتلّ نبضَكَ؟! أَتْركُ صوتَكَ معلّقًا في الهواء خوفَ أن تُحْرقَه أنفاسي. أقول تكفي السجائر التي لا تَرْحمها، لكنّني أَعْرف أنّكَ بعد تلك الحركة الخائنة ستطارد أرقامي وتَجْلدها بالسّباب حتّى تَقْبضَ عليها متعلّقةً بصوت غيرك، ولا تكفّ حتّى تسلّم نفسَها طوعًا ودون نقاش وتَطْلبَ منك المغفرة. سيتعالى رجمُك للدنيا بكلّ أنواع المُوبقات إذا هي رفضتْ. «الغفران لا يُطلب بتلك السهولة،» أهمسُ بجزع، «ستكون عواقبُه أمرَّ في القلب.» لا أتوسّل، لن يبقى في صدري غيرُ الضجر. كأنّكَ وكأنّك، لا تَفْهم أنّ الشجارَ استراتيجيّتي في قَلْبِ نظام العشق وتحريكِ دمه. ألجأُ إليه كي أغيظَكَ وأدفعكَ إلى قتلي بالفراق. يجب أن أنقّيَ روحي من وزْرِ أفعالي. لم أحقّقْ شروطَ اكتمالها مرّةً. وربّما من المفروض، وفقَ مذاهبِ العشق، أن أتعذّب في سرّي قليلاً، وأن أنسحقَ وأتآكلَ.

◆ ◆ ◆

نكهةُ هذه الذكريات، أين تذهب؟ حصارُ المدينة لن يُرفع خلال يومين. أراكَ؟ كيف؟ أبحث عن غيركَ؟ كيف، سائد، وأنتَ تعرف أنّ طفلةً تَعْبد مفاصلَ اسمِكَ لا تكفّ عن اللطم والنواح وتعفيرِ وجهها بالرماد، وهي تَدْفعك إلى شنق الأيام الجميلة التي ستعيشها معكَ؟ إنّها تحتال على قسوتكَ. قلتُ لكَ: «احذرْ دهاءَ النساء.» ابتسمتَ، ولم تفهمْ أنّني أعني نفسي! في وقت متأخّر من الليل دَقَقْتَ بابي معلنًا غباءَكَ وضراوةَ قراراتي. تتراجع الطفلةُ وأنت تمشي بخطوات جائعة إلى العودة. تصفّقُ لكَ، وتَسْخر من كسبها للمعركة. «ساديّةٌ هذه المرأة، تريد أن تتعبّأها الوساوسُ،» تقول وتقفز من مكانكَ. لقد أَفْلَسَتْكَ من العذوبة. تغادر محتجًا، فتضرب فخذيْها ندمًا. إنّها، وأنتَ تبتعد، تَدْفن أجزاءَها بالنقمة على الدنيا والخوفِ من شرفةٍ عريضةٍ واسعةٍ لا يلتصق ببلاطها غيرُ طاولةٍ صغيرةٍ مكسورةِ القدم وكرسيٍّ ضيّقٍ من غير متّكإ.

هل توقّف الكلأُ عن النمنمة في قلب القائد الذي لا يغزو غيرَ نوافذ المدن الجميلة؟ «لا يسطّر وجودي خارج تلك المدينة أحدًا، الضياعُ فقط يأكل حنجرتي» قلتَ، وأنتَ تتخيل الحصارَ خطّةَ إبادة. انزلقتْ كعوبُ النساء عن الأرصفة، نظراتُ المراهقين عن نهود الصبايا، خيوطُ الجرابات الشفافة، سلالُ المونة، عرباتُ الفراولة. وانزلق دمعي تحت سترتي حين رأيتُ هذه الأشياءَ تنحسر عن مشهد المدينة. لماذا غادرتَ، وأنتَ تعرف أنّها لعبةُ تلك الطفلة الّتي تحبّ نعيقَ البوم وغناءَ الحجل؟ غريب كيف اندمجت بهواية تكسير أضلاع المشاكسة؟ لم يبق منّي سوى هيئة وحيدة وبردانة داخل الفراش، تغادره تكرارًا كي تتفقّد أوكارَ الجنّ في زوايا البيت. يبدو أنّه لا يحبّ اليهود تمامًا، ولذلك يستوطن زوايا بيوتنا المحاصرة. أم لعلّه إيمانُنا الساذج بالأقدار ولو صدرتْ عن جناح جنيّ؟

«غير الكلمات العاقّة لا يتبقّى بعدكَ،» تَهْمس لنفسها بانفعال حقيقيّ هذه المرّة. تمسرح هيئتَها من خلال أضلاف النافذة، وتُحاورُ القمرَ. تَفْرد أجنحةً يخيّل إليها أنّها أعلى من قامتِكَ الرشيقة. تهزّ أذنيْها أكثرَ مما يجب، «ستنتصر بقامتها المهزومة عليك.»

تصير عدوًا بتلك السهولة، ثمّ تُلقي بنفسها إلى الجنيّ وتبكي بصوتٍ عالٍ. لماذا، سائد، لا تدسُّها تحت إصبعكَ وتَفْركها تحت الشمعة المتوهّجة لتراها بدون مساحيق، حارّةً مثلَ شرنقةٍ وليدة، وتعلّمها أن تصمتَ وتُخرسَ لسانَها، تربطه إلى أحد أسنانها الخلفية؟ جرّبْ دون أن تنظر لأنّك

ستساعدها على نزف هذا الكبرياء، قاتلِ الإحساس. يجب أن تساعدها، يا سائد، في التغلُّب على عقدِ أشتال التبغ الخضراء التي حَثَّتْها عمّتُها على الحذر منها. وهل يفترس التبغُ الأخضرُ ملابسَ الناس؟ بدأتْ تجمعها وتتعجب، حين صرصرتْ أذيالُ ثوبها القصير وصرخْتَ بها من بعيد: «ألم أطلبْ منكِ الحذر؟» لم تفهم، اعتقدتْ أنّها تغوص معه بالوحل. رفعتْه أكثرَ فانطلق الصراخُ عاليًا كأنّه يريدها أن تتفادى كارثة. «أَنزليه على فخذيْكِ يا خائبة، يراك الرجلُ المقرفصُ هناك،» ومدّت يدها المحنّاة باتجاهه وهي تخرخش بأساور الفضّة. كان منغمسًا بجمع الأشتال ذاتها على الطرف الآخر للحوض: «لا يلقي بالاً يا عمّتي إليّ،» احتجَّتْ. «ماذا يُدريكِ أنتِ يا غشيمة؟» لَوَتْ شفتيْها على شكل ذنب عقربة، «لكنّ هذا الرجل شايف نفسه مهمًا ويريد صبيّةً مهمّة.» أكانت تخاف عليها من حركات أصابعه السريعة في قلع جذور الاشتال، أم أنّ لمساته غيرَ المقصودة لأطراف ثوبها الأبيض أثارت فيها الغيرة؟

كانت ساقُها ترتعش كلّما لامسها ظاهرُ يده. حين يأتي على آخر شتلة في التلم يَضْرب كوعَه بخصرها. كان أسرعَ منها في جمع التبغ، وأجرأَ في التآمر على حركةٍ عابرةٍ سينتشي بها كلاهما تحت سمْع العمّة وبَصَرِها. وكانت هي تتآمر بعضَ الشيء، فلا تفرّ مباشرةً حين يخطفها مولّدُ الكهرباء في مرفقه، وتصرخ بارتعاش. العمّة بعيدة ولا تلاحظ أنّهما يعلقان بحركات غير مقصودة، وأنّ الأوراق الطويلة الخضراء تداري سرَّهما. التفّت التفافًا غريبًا وعَزَلَتْهما عن جموع الناس المنتشرة بين الشتيلات. هل أعجباها فحفظتْهما من الوشاية؟ الشتيلة حكيمة وتَفْهم أنّ مليمترًا واحدًا من الانحسار أو الانكشاف يعني فضيحةً. وكانا متأكديْن، هي وذلك الرجل، أنّ تضليل العمّة أمر سهل جدًا. هي، بعد السذاجة الّتي أَعلنتْ عنها الفتاة، متأكّدةٌ من عدم استظراف أحدهما للآخر. كما أنّها اعتقدتْ أنّ فارق الجيل سببٌ منطقيٌّ لعدم تآلفهما: فقد كان يتعدّى الثلاثين، بينما لم تبلغْ هي التاسعةَ عشرةَ. واسمُه، يوسف، اسم موغِلٌ في العتاقة. حين نادته بصوتٍ خافتٍ خجلٍ كي يَحْمل عنها الأشتالَ التي تختنق داخل ضمّة يدها، ضَغَطَ على أصابعها بقوة وَرَدَّتْ وجنتيْها وصيّرتهما بلون شقيق الجبل، فأَفْلتَ منها كلُّ ما جمعتْه طوال ساعة فوق أشتال أخرى يانعة لم تُقطفْ بعد. وحين ضاعت يداها بين السيقان المتكاتفة عَثَرَ يوسف عليها صدفةً، فتصافقتْ أطرافُ ثوبها، وقفزتْ وجنتاها من مكانهما. حدث ذلك بسرعة عجيبة تمكنتْ خلالها من لمّ أصابعها والهرب تحت ادعاء كاذب: «مبلّحة من العطش وبدّي جرعة ميّ يا عمتي، أين الكردل؟»

تحت الرمّانة الغزيرة الفروع أَغْرَتْه من بعيدٍ بطرف ساقها البيضاء، فسبَّ أيّامَ التبغ ومواسمَه، وتحرّكتْ تفاحةُ آدم عصبية في عنقه. يوسف هذا رجل وسيم، لكنها للحقّ لم تكن تريده، ولم تَفهم حتى ذلك الحين معنى أن يريد رجلٌ امرأةً. لكنّها منذ دَعَكَ أصابعَها والتهبتْ أطرافُها بنشوةٍ أَغرقتْ سروالَها الداخليَّ بسائلٍ لزجٍ، أحسّت برغبة شريرة في إثارته حتى الموتِ وتَرْكِهِ بعد ذلك لجهنّم. ألم يعرِّفْها على شيء يُشْبه الخطيئةَ أحسّت به من ارتجاف ساقها وفخذها بعنف؟ وردًا لاعتبارِ كائنِ الإثارة الذي انتشر كاسحًا ومرغِمًا أعصابَها على التفتُّت، أرادت أن تشوي جسدَه بفلفلٍ حارّ وتَذْهب.

تَسْتحضر الآن هذه الحادثةَ كي تتأكّد أكثرَ من ذي قبل أنّها شقاوةُ ذلك الجيل الرجيم. ثأرٌ من رجلٍ خلبتْها زنودُ نشوته. وبرغم تورّطها، لم توافق على أن يقتصّ لها من تعفُّفها الكاذب. لماذا لم تتحسَّس سروالَها الداخليَّ لتعرفَ كم هي محمومة، وكَمْ تلفّ بها الدنيا دون توقف؟ حدُّ التهاب رغبتها بفيروس قد ينتقل إليكَ إذا لم تقرِّر، الآن وحالاً. إعلاءً باطنِ كفّكَ إلى صهوة رخامها الناهد وإسكاتِ المناورات المحتدّة تحت جلدها. كأنّك، سائد، نسيتَ أنّ شمعةً تشتعل في الكرادور لا يمكن أن يطفئَها غيرُ الكبرياء حين تعتليه الريحُ. وتجرؤ أن تحتجّ؟ أنا مَنْ أضاءها فكيف انطفأتْ؟ «مثلَ كلّ الحمقى وخفيفي الظلّ وكلّ مجانين الدنيا والعقلاء، مشتاقةٌ إليكَ،» بكت من حرارة إحساسها بالشوق. «يا للغرابة، أليس في ما أقول ما يدعو للعجب؟،» تابعتْ كلامَها. «أحبُّكَ. هل ستقاصص جسدي على هذه الكلمة المقليّة بزيتِ الوَلَه؟ لو كنتَ الآن معي لأفنيْتَ سجائرَكَ كلَّها تحت الجرائد، وأعقابَ كلامك في زاوية لم أكتشفْها في حبر مرفقي أو سرّتي. لماذا لا تقول؟» أُحبّ هذا الشوقَ المندفع مثلَ سيل يشلّ يدي فلا تصل إلى أيّ مكان. تترك سيجارتي كمتسوّلةٍ يتيمةٍ لا تعرف أمام المارة أحجيّة الأسئلة: «من أين جئت؟ إلى أين أنت؟ حتى متى؟» ورام الله جواب صغير على كلّ الأسئلة الكبيرة. أحبُّ هذا الشوقَ الكاسرَ الذي أحار معه الإجابة. «أحبُّكَ، سائد. هل ستَرْحم حبّي بارتكاب مغامرة هذه الليلة؟ هل تقصف حواجزَهم وتأتي؟» «أنتِ امرأة شجاعة. هل أتوقّع أنا منكِ، كما دائمًا، خروجًا عن طوق المألوف والعادة؟ هل ستفكّرين بسفرة طويلة تَصِلُكِ

• رجـــــــاء بكـريـة

بضراوةِ ما أعانيه الآن؟ وهل تأتين بأشواقٍ لم تَقْرِمْها سكينُ الخطر؟» يرتجف صوتُها: «أخاف أن آتيكَ امرأةً أخرى أذاب مشاعرَها احتراقُ الوقود المتسارع، أن أُطِلَّ امرأةً غيري مصرصرةَ الأطراف، استنزفَتْها حرارةُ الأرصفة. فكيف ستحتفل بمجيئي إليك؟» «كما أحتفل بطيفِك كلَّ يوم، ممسوحًا مثلَ دمية قطن، عجرًا مثل رأس ثوم،» قالت. «بل متورِّدًا مثلَ بيت من الفرفحينة،» قال. «وَمَنْ سيَرْحم امرأةً تأتي في ليلٍ حالكٍ كهذا، ماطرٍ بالشكّ، تتعثّر بأطراف فستانٍ مطرَّزٍ بأزهارٍ شبيهةٍ بما سيُزهر في عيون الجنود حينذاك ومكان شواربهم، وبأجزاء الصمت الفالت مثل نسر، وبما تبقى من وطاويط العتمة؟» قالت. «ولماذا أمورٍ هامشية كهذه تثير شهيةَ تساؤلاتكِ؟» قال. «لأنّ جسدي، كما أَعْرِفُ، سيثير شهيةَ تساؤلات لن تنتهي بطلوع الفجر. لن يفهموا أنّكَ آخرَ المسالك الوعرة تنتظر. لن يفهموا خطورةَ أن يتورَّط عاشقان بشوق لقبلة.» «قد يفهمون،» قال. «سأقول لهم، أناديك ويسمعون. وحين ستتأخر في الردّ سأُقْنعهم بأنّ صوتكَ يختبئ خلف الصدى،» قالت. «وإذا استفزُّوا حشمتَكِ؟» قال. «سوف أدّعي البلادةَ وأُقْنعهم ثانيةً بأنّني أسمع صوتَكَ خلف الأشجار وأصواتِ الواوي. سأُهديهم بذارَ القَرْع التي جلبتُها معي كي نسدَّ السعراتِ التي نَفْقدها بين لهاث القُبَل، وكي تسلّي أوقاتهم عنّي وعنكَ وعن قبلةٍ سيَّروا دخانَها يعلو كثيفًا بُعْدَ شبابيكهم المفتوحة للهواء والنار معًا،» قالت. «نحن نَحْلم، ككلّ مرةٍ يَحْكمنا العجز،» قال. «ككلّ المقموعين،» قالت. «ككلّ اللاجئين،» قال. «ككلّ المتورِّمين بأحكام المنافي،» قالت. «حَجَروا على كلّ شيء، أفلا يَحْجرون على حقي في طيّكِ تحت إبطي كسجلّ، والعبور بكِ إلى غرفة في جيب القمر؟» قال. «عدتَ تحلم،» قالت. «أحبُّك،» تهجّأتَها ثانيةً، «أحبك، سائد، أحبّك. كيف أفاوض الجنودَ بضرورةِ أن يَلْمس واحدُنا بنصرَ الآخر؟ لن يقتنعوا، أَعْرف عقولَهم،» قالت.

إذًا تعاليْ نَعدْ للحلم / تعالَ نشعلْ أسلاك الهاتف بما يُمْكن أن يعوّضني أنا وأنتَ عن لحظةِ موت، تعالَ نجازفْ فلا يشمُّون غيرَ الرائحة. تعاليْ نسكرْ ببخور المحبة وندوِّخْهم بخمرة وهمية / ويقتلوننا؟/ لا يقتلون امرأةً خلف بحر ورجلاً فوق جبل / قد يفعلون. نقتلهم نحن بالرصاص / لا يا أهبل. بالغيرة! / ممّ؟ / مِنْ قبلة حَرَقَتْ أسلاكًا بطولِ كلامٍ حَدَّثوا به زوجاتِهم وحبيباتِهم طوال أسابيع فارغة لم تمتلئ بغير أجنحة الذباب وقرصاتِ الدبابير / وحين يحتدُّون؟ / سنجازف بقبلة ثانية تُجْبرهم على رفع الحصار لساعة، كي يستبدلوها بأسلاك جديدة يتنصّتون منها على خطة لقائنا القادم: وقد نستغلّ فوضى حواجزهم فنتبادل من بعيدٍ شهقةً (صرخت بجذل) / ثم نعود إلى الاختباء (همس باكتئاب) خلفَ الأسلاك؟ / أجل كالمرّة السابقة خلف الأسلاك. فمتى سنلتقي خارج حلم أبله؟ / حين تحترق أسلاكُ المدينة كلّها، وتطلب السلطاتُ نجدةً. أحبكَ. أحبكَ هل ستحتمل أشواقُ هذه الكلمة المشعورة إذا أنا جئتكَ الآن، وتسمعُها دون أن تَدْفنَ شفتيْك في قلبي وتنام؟ كلمة صغيرة حمقاء، سأردِّدها وتتحوَّل بين أصابعي إلى رماد. سيَلْزمني من الحبّ ما سيلزمني من الحقد لأُقْنع مَنْ يسأل عنكَ أنّكَ ذهبتَ إلى الموت متأبِّطًا ذراعَ الغرور، وذنبُكَ الوحيد أنت أنّكَ لم تصدِّق أنّ أصابعي محشوّةٌ بديناميتٍ أكّال. سوف تنام أنتَ، وكلُّ ما سيَشْغلني بعد ذلك ما سيتقوَّل به مَنْ سيَراك عن سرِّ اختفاء شفتيْك. «قضمتْها الغولةُ أنا،» سيقولون. لن يَفْهموا أبدًا أنّها أشواقٌ نازحةٌ حطّتْ كسربِ جرادٍ مفاجئ وقَرَضَتْها.

رجاء بكرية (عرابة ـ الجليل ١٩٧٢):

تقيم في حيفا. نالت الشهادة الأولى في جامعة حيفا في موضوعَي الفنون التشكيلية والأدب العربيّ. كما حصلتْ على الشهادة الثانية، وتُعدّ للدكتوراة. أصدرتْ **مزامير أيلول** (شعر) و**عواء الذاكرة** (نص روائيّ)، وصدرتْ لها مؤخرًا مجموعة قصصية بعنوان **الصندوقة**. حصلتْ على جائزة القصة القصيرة النسائية لنساءِ حوضِ البحر المتوسط.